Scientific Journal
University of Saba Region
ISSN :2709- 2747 (Online)

المجلة العلمية
لجامعة إقليم سبأ
ISSN :2709- 2739 (Print)

الكبر من خلال سورة الأعراف (أسبابه، مظاهره، آثاره) (دراسة موضوعية)

Arrogance in Surah Al-A'raf: An Objective Study of its Causes, Manifestations, and Effects

فاطمة محمد الدخري يحيى [1]
Fatima Mohammed Adukhri Yahia

المجلد(8) العدد(2) ديسمبر 2025م
https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.124

(1) أستاذ القرآن الكريم وعلومه المساعد
عنوان المراسلة : d.fatimamohammed123@gmail.com

الملخص:

يتناول البحث موضوع الكبر، من خلال سورة الأعراف –أسبابه، مظاهره، آثاره– باعتباره خُلقٌ مذمومٌ، يؤدي إلى الفساد في الأرض، وهلاك المتكبرين كما تستعرض السورة أمثلة من الأمم السابقة، مثل قوم نوح وفرعون، و صالح، الذين كانت عاقبتهم وخيمة؛ بسبب كبرهم، ورفضهم للحق. وقد جاء البحث، مكونًا من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، حيث جاء في التمهيد: بيان مقاصد السورة، و مفهوم الكبر وحقيقته وأسبابه، ومعنى التكبر والاستكبار، والفرق بينهما، وجاء في المباحث: ذكر المتكبرين في سورة الأعراف، والمتكبرين من خلال وصفهم بالمستكبرين عن آيات الله، و بيان أخطر مظاهر الاستكبار في سورة الأعراف، ثم ذكر **آثار** ونتائج الاستكبار في سورة الأعراف.

ومن خلال ذلك، فقد أظهرت الآيات كيف أن الكبر يعمي بصيرة الإنسان، مما يجعله بعيدًا عن التواضع والاعتراف بالعبودية لله وعظمته. كما يؤكد البحث على أهمية التحلي بالتواضع والبعد عن كافة مظاهر الكبر والغرور؛ لأن التواضع صفة محمودة، تعكس الإيمان الصحيح، وتقرّب العبد من الله عز وجل.

الكلمات المفتاحية : (الكبر– الأعراف – الغواية)

Abstract

This study discusses the topic of arrogance (kibr) in Surah Al-A'raf, through exploring its causes, manifestations, and consequences, considering it a blameworthy trait that leads to corruption on earth and the destruction of the arrogant. The Surah presents examples from past nations, such as the people of Noah, the people of Pharaoh, and the people of Saleh, whose fate was dire due to their arrogance and rejection of the truth. The study consists of an introduction, a preface, and four main sections. The preface discusses the objectives of the Surah, the concept and reality of arrogance, its causes, and the difference between kibr (arrogance) and istikbar (haughtiness). The main sections cover: the mention of the arrogant in Surah Al-A'raf, descriptions of the arrogant as those who reject the signs of Allah, the most dangerous aspects of arrogance depicted in the Surah, and finally, the consequences and outcomes of arrogance as illustrated in the Surah. The Qur'anic verses demonstrate how arrogance blinds a person's insight, distancing them from humility and acknowledgment of servitude to Allah and His greatness. The study emphasizes the importance of embodying humility and avoiding all aspects of arrogance and pride, as humility is a praiseworthy quality that reflects true faith and brings a person closer to Allah, the Almighty.

Keywords: Arrogance (kibr), Surah Al-A'raf, Haughtiness (istikbar), Humility

Copyright: © 2025 Fatima Mohammed Adukhri Yahia. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of Creative Commons Attribution (CC BY 4.0) license.

مقدمة:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فهو المهتد، ومن ضل فلن تجد له وليًا مرشدًا، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الكبر من العلل الداخلية التي يوسوسها الشيطان في صدور الناس، كما هو من الصفات الذميمة التي ذمها الله تعالى ورسوله، وهذه العلة جاءت نتيجة لضعف الإيمان ونقصه، وعدم الثقة بالنفس، وقد تملك الإنسان ولازمه؛ حتى تسبب في انتشار كثيرٍ من العداوات والبغضاء بين النفوس، مما أجج نفورها من بعضها البعض، والأسوأ من ذلك، فإن صفة الكبر قد تسببت في هلاك كثيرٍ من مخلوقات الله عز وجل، بدأً بخروج إبليس من الجنة، بسبب استكباره على الله تعالى، حينما أمره بالسجود لسيدنا لآدم عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[البقرة: 34] وأمثال إبليس، قارون الذي أغرقه الله تعالى وأمواله، بسبب استكباره على الله تعالى و على قومه، و أُغرق كذلك فرعون مع قومه، كل ذلك بسبب الاستكبار والتعالي.

وقد تناولت سورة الأعراف موضوع الكبر في عدة آيات، حيث تبرز آياتها أن الكبر هو صفة ذميمة، تحجب صاحبها عن الحق، وتؤدي به إلى الهلاك. كما تكشف السورة عن عقوبة المتكبرين، وكيف أن الله تعالى يصرفهم عن آياته وعن الهداية بسبب استكبارهم وتعاليهم على غيرهم، كما تبرز سورة الأعراف النتائج الحتمية لهذا الخلق الذميم ألا وهو الكبر.

وتُعد سورة الأعراف من السور المكية الطويلة التي تناولت قصة خلق آدم عليه السلام والعداوة بين الشيطان والإنسان، كما ذكرت قصص الأنبياء مع أقوامهم، مع التركيز على قضية الكبر كسبب رئيسي في هلاك الأمم السابقة.

وقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بعنوان: (الكبر من خلال سورة الأعراف – أسبابه، مظاهره، آثاره – دراسة موضوعية) مشتملةً على مقدمة، وتمهيد، وفيه: بيان مقاصد سورة الأعراف، وبيان مفهوم الكبر وحقيقته وأسبابه وأقسامه، وثلاثة مباحث، المبحث الأول: بيان المتكبرين في سورة الأعراف، المبحث الثاني: بيان أخطر مظاهر الكبر في سورة الأعراف، المبحث الثالث: نتائج الكبر في سورة الأعراف، المبحث الرابع: وسائل علاج الكبر، ثم الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه البحث.

أسباب اختيار الموضوع:

1. معرفة الآيات التي تتعلق بذم الكبر ومشتقاته في سورة الأعراف.
2- معالجة أسباب ظهور الكبر، كأخطر ظاهرة تهدد المجتمع المسلم.
3. الوقوف على أخطر مظاهر الكبر، من خلال سورة الأعراف.
4. الوقوف على الطرق والوسائل الناجحة لعلاج خطر انتشار الكبر؛ وفقًا للآيات في سورة الأعراف.

مشكلة البحث:

1-ما سبب ظهور الكبر في المجتمع الإنساني، والذي تبدى في سورة الأعراف؟
2- ما حقيقة الكبر من خلال سورة الأعراف؟
3. ما مظاهر الكبر من خلال سورة الأعراف؟
4. ما النتائج التي ترتبت على ظهور الكبر، من خلال الآيات التي وردت في سورة الأعراف؟

أهمية البحث:

1. بيان أن الكبر في الغالب ينشأ من شعور الإنسان بأنه متفوق على الآخرين.
2. بيان حقيقة الكبر، وأنها تؤدي في النهاية إلى التمرد والعصيان والفشل والضياع.
3. بيان أن الاستكبار على الله تعالى، وعلى آياته، وأهل الحق من الناس، والاستكبار على الأنبياء – عليهم السلام – وعلى الإيمان بآيات العقاب، من أهم مظاهر الكبر، من خلال سورة الأعراف.
4. بيان أن الرفض والاستكبار والفساد في الأرض، والعجز عن رؤية الحق، والعقاب المعجل، من النتائج المترتبة على ظهور الكبر، من خلال سورة الأعراف.
5. إغلاق أبواب السماء أمام المتكبرين، وعدم انتفاع المتكبرين بأموالهم وعددهم، ومآل المستكبرين، من أهم نتائج البحث.

أهداف البحث:

1. معرفة سبب ظهور الكبر في المجتمع الإنساني، كما ظهر في السورة.
2. معرفة حقيقة الكبر، كما في السورة.
3. بيان مظاهر الكبر الذي ورد بالسورة.
4. معرفة النتائج التي ترتبت على ظهور الكبر.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على أهم محركات البحث، من مواقع بحثية ومكتبات ومجلات، لم أجد بحثًا بعنوان: الكبر، من خلال سورة الأعراف (أسبابه، مظاهره، آثاره، علاجه)، إلا أن هنالك بعض الدراسات التي قد تتقاطع مع هذا البحث، وهي:

1. مدح التواضع وذم الكبر، للإمام أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، ذكر في الكتاب: التكبر من خلال الأحاديث النبوية، وهذا البحث مقتصر على ذم الكبر، من خلال سورة الأعراف تحديدًا.
2. رسالة ماجستير بعنوان: آفات النفس، كما يصورها القرآن، دراسة موضوعية، ألفه نعيمة عبد الله البرش، حيث ذكر الباحث: تعريف الكبر وبيانه بصورة عامة، بينما ينحصر البحث الذي قمت بكتابته على ذم الكبر، في سورة الأعراف، دراسة موضوعية.
3. سلسلة أعمال القلوب –الكبر – ألفه محمد صالح المنجد، وذكر في الكتاب أسباب الكبر فقط،

بينما يتحدث هذا البحث عن ذم الكبر في سورة الأعراف، مستعرضًا مظاهر الكبر، وأسبابه، وطرق علاجه.

4. أين نحن من هؤلاء، ألفه عبد الملك قاسم، وتحدث الكتاب عن أقسام التكبر وخصال المتكبرين ومدح التواضع، بينما يقتصر بحثي على الكبر في سورة الأعراف، مظاهر الكبر، وأسبابه، وطرق علاجه.

5. كتاب در السلوك في سياسة الملوك، ألفه أبي الحسن بن حبيب الماوردي، حيث ذُكر في الكتاب أسباب التكبر، والفرق بين الكبر والعجب، بينما تناول هذا البحث ذم الكبر، وبيان المتكبرين وأسباب الكبر، ومظاهره، ووسائل علاجه، من خلال سورة الأعراف.

منهج البحث:

تقوم الدراسة على منهجين:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع الآيات القرآنية الواردة في سورة الأعراف، والتي تتناول موضوع دم الكبر ومشتقاته، وقد بلغ عددها عشرون آية، سبع آيات في المبحث الأول، وسبع آيات في المبحث الثاني، وست آيات في المبحث الثالث.

2. المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك بدراسة الآيات، وتحليلها، واستنباط ما فيها من مقاصد وهدايات، متعلقة بذم الكبر في سورة الأعراف.

إجراءات البحث، وفيها:

الإجراءات العامة:

1. عزو الآيات القرآنية التي وردت في البحث إلى سورها، مع ذكر رقم الآية، والالتزام برسم المصحف العثماني.

2. توثيق النقول من مصادرها الأصلية- ما أمكن ذلك- فإن تعذر، فسأنقل عنها بواسطة، مع بيانها.

3. التعليق على ما يحتاج إلى تعليق فيما يخدم موضوع البحث.

الإجراءات خاصة:

1. استقراء آيات سورة الأعراف لاستخراج وجمع الآيات التي تخدم موضوع البحث

2. توزيع مادة البحث إلى مباحث ومطالب، وترتيب الآيات؛ وفقًا لذلك.

3. منهجي في التعامل مع الآيات القرآنية، كالتالي:

أ. أبين المعنى الإجمالي للآية.

ب- أفسر الآية تفسيرًا تحليليًا، حسب الحاجة لذلك.

ج- أذكر ارتباط الآية بموضوع البحث الذي أقوم بدراسته.

4- الاعتماد على المصادر الأساسية في التفسير، مع الاستفادة من بعض الكتب في الفنون الأخرى، التي تكسب الدراسة نوعًا من القوة في عرض الموضوع.

5. الاستشهاد بالأحاديث النبوية، والآثار المنقولة عن بعض السلف، فيما يخدم موضوع الدراسة.

خطة البحث: تتكون الخطة من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وهي كالتالي:

تمهيد، وفيه:

أولًا: بيان مقاصد السورة.

ثانيًا: بيان مفهوم الكبر وحقيقته وأسبابه.

ثالثًا: معنى التكبر والاستكبار، والفرق بينهما.

المبحث الأول: أنواع المتكبرين في سورة الأعراف، وفيه:

المطلب الأول: إبليس وجنوده.

المطلب الثاني: المتكبرون، من خلال وصفهم بالمستكبرين عن آيات الله – نموذج فرعون وأمثاله.

المبحث الثاني: بيان أخطر مظاهر الاستكبار في سورة الأعراف

المطلب الأول: الاستكبار على الله تعالى.

المطلب الثاني: التمادي في الاستكبار على آيات الله، وأهل الحق من الناس.

المطلب الثالث: الاستكبار على الأنبياء، عليهم السلام.

المطلب الرابع: الاستكبار عن الإيمان بآيات العقاب.

المبحث الثالث: نتائج الاستكبار في سورة الأعراف وفيه:

المطلب الأول: إغلاق أبواب السماء أمام المتكبرين.

المطلب الثاني: عدم انتفاع المتكبرين بأموالهم وعددهم.

المطلب الثالث: مآل المستكبرين من قوم نبي الله صالح، عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

التفاسير.

الخاتمة، وفيها نتائج البحث، وتوصياته.

التمهيد:

أولًا: مقاصد سورة الأعراف:

بعد قراءة السورة بتمعن، تبين أن سورة الأعراف تحمل مقاصد متعددة، ومن أبرزها، التأكيد على وحدانية الله وأهمية الإيمان به، وذكر قصص الأنبياء لأخذ العبر والدروس المستفادة منها، كما ورد في السورة الحديث عن يوم القيامة، وما ينتظره الناس من مآلاتهم الأخيرة، و كذلك تقديم توجيهات حول اتباع الحق والابتعاد عن الباطل، ولهذا شددت السورة على أهمية التواضع وذم الكبر والاستكبار، لأنهما يقودان إلى الضلالة والبعد عن الحق، يتجلى ذلك من خلال قصص الكفار، مثل قصة فرعون، الذي تجسد فيه الكبر والغرور، مما أدى إلى هلاكه، وغيره من الكفرة المستكبرين، لذا جاء التحذير من عواقب الكبر، والتأكيد على أنه يعمي الإنسان عن رؤية الحق، ويجعل منه عدوًا لله، وبالتالي دعت السورة إلى التواضع والاعتراف بعظمة الله، إذ تعتبر الكبر من الصفات التي تؤدي إلى الهلاك.

كما جاء في السورة التأكيد على أن الحياة دار ابتلاء واختبار للإنسان.

حديث القرآن عن الكبر: في القرآن الكريم، يتم استخدام مصطلح «التكبر» لوصف سلوك فرعون، وهو ضالع في ظلم واستبداد واستعلاء على بني إسرائيل، فرعون يعتبر نموذجًا للتكبر والاستكبار، فقد زعم بأنه إله على الأرض، وأنه أعظم من الله، ونتيجة لتكبره حل عليه عذاب الله، وانقلبت قوته وسلطته عليه.

ولقد أمر الله تعالى إبليس بأن يهبط من الجنة، إذ ليس له أن يتكبر فيها؛ لأنها دار الطيّبين الطاهرين، فلا يجوز له أن يكون فيها؛ لم لا...؟ وإبليس من الحقيرين الذليلين، وإن كان يرى نفسه أنه أشرف من آدم عليه السلام، قال تعالى: (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)[1].

ثانيًا: بيان مفهوم الكبر وحقيقته وأسبابه:

وأما مفهوم الكبر، فيتجلى من خلال تعريفه من حيث اللغة والاصطلاح:

فالكِبْر لغةً: العَظَمَة والتَّجَبُّر، كالكِبْرِياء، وقد تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ وَتَكابَرَ، والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار: التَّعَظُّم، والكِبْر بالكسر: اسم من التكبر والكبر اسم من كبر الأمر والذنب كبرا، إذا عظم، والكبر العظمة والكبرياء مثله، وكابرته مكابرة، غالبته مغالبة، وعاندته[2].

قال صاحب تاج العروس: الكِبْرُ: حالةٌ يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أَكْبَرَ من غيره[3].

---

(1) الأعراف 13.

(2) ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ/ج5 ص 153.

(3) الفيومي (أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت/ج2 ص523. الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)/ تاج العروس من جواهر القاموس /

وقال ابن منظور: الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتّجبّر، وقيل: الرّفعة في الشّرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات، ولا يوصف بها إلّا الله تعالى.

يقال: تكبّر، واستكبر، وتكابر[1].

أما تعريف الكِبْر اصطلاحًا، فهو: استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفّع على من يجب التواضع له[2].

وقد عرّفه أيضًا حديث النبي- صلّى الله عليه وسلّم- فقد قال: «الكِبْر بطر الحق، وغمط الناس[3]"".

أما أسباب الكبر، فهي ثلاثة: سبب في المتكبّر، وسبب في المتكبّر عليه، وسبب فيما يتعلّق بغيرهما.

أمّا السّبب الّذي فى المتكبّر، فهو العجب، والّذي يتعلّق بالمتكبّر عليه، فهو الحقد، والحسد، والّذي يتعلّق بغيرهما، فهو الرّياء[4]، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار، هي:

العجب، والحقد، والحسد، والرّياء:

أمّا العجب: فإنّه يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التّكبّر الظّاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأمّا الحقد: فإنّه يحمل على التّكبّر من غير عجب، كالّذي يتكبّر على من يرى أنّه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقدًا، ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقًّا للتّواضع.

وأمّا الحسد: فإنّه أيضًا يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء، وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضًا إلى جحد الحقّ، حتّى يمنع من قبول النّصيحة، وتعلّم العلم، فكم من جاهلٍ يشتاق إلى العلم، وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من أحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه، فهو يعرض عنه، ويتكبّر عليه، مع معرفته بأنّه يستحقّ التّواضع بفضل علمه، ولكنّ الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبّرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه[5].

وأمّا الرّياء: فهو أيضًا يدعو إلى أخلاق المتكبّرين، حتّى إنّ الرّجل لينظر من يعلم أنّه أفضل منه،

اصدار: وزارة الارشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت/ج14ص8.

(1) ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري) لسان العرب/ دار صادر للنشر- بيروت- ط3، 1414هـ/ج5 ص129-130.

(2) مختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي/ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم/ دار الوسيلة للنشر والتوزيع –جدة/ ط4/ج11ص5353، مجموعة من الباحثين، بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف/ج2ص466.

(3) أخرجه مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)/ الجامع الصحيح / المحقق محمد ذهني أفندي , إسماعيل عبد الحميد ' أحمد رفعت/ الناشر: دار الطباعة العامرة –تركيا 1334هـ/ الطبعة الأولى/ كتاب الايمان/ باب: تحريم الكبر وبيانه/ ج1ص93 برقم 91.

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم/ ج11ص 5354 (بتصرف).

(5) الغزالي (أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي)/ إحياء علوم الدين / دار المعرفة للنشر –بيروت / ج3ص 353

وليس بينه وبينه معرفة، ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحقّ منه، ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول النّاس إنّه أفضل منه، فيكون باعثه على التّكبّر عليه الرّياء المجرّد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبّر عليه[1].

ولا شك أن هذه الأمور كلها لها تأثير جلي على سلوك الفرد، فالعجب يظهر تأثيره السلبي على العلاقات بين الأفراد، إذ يؤدي إلى الشعور بالتفوق على الآخرين مما يسبب النفور بينهم، وأما الحقد فتأثيره على الصحة النفسية أولا، كما يؤدي إلى تصرفات عدوانية تجاه الآخرين، وأما الحسد فهو يولد لدى الشعور بعدم الرضا عن الذات وهذا بدوره يدفعه إلى مقارنة نفسه بغيره باستمرار أو ربما يلجأ إلى إيذاء الآخرين أو الانتقاص من تفوقهم عليه، أما الرياء فنتيجته تدمير العلاقات التي تبنى على أساسه، إذن كل هذه الأمور في نهاية الأمر تصنع إنسانًا غير سويًا .

وقد يصل الانسان درجة من التكبر تجعله يتكبر لعلمه حين ينظر إلى الآخرين نظرة استجهال أو لعمله، إذ يراه أفضل من عمل غيره أو أقرب إلى القبول من عمل غيره، أو يتكبر لنسبه لما يسخر ممن ليس له نسب فيترفع عن مجالستهم، أو يتكبر لجماله وهذه الخصلة الذميمة تولد خصائص أخري لا تقل خطورة عن التكبر، كالتنقيص، أو التنمر أو الغيبة، وقد يتكبر أيضًا لقوته، إذ يرى نفسه أقوى ممن على الأرض وغير ذلك .

ونشير هنا إلى أن المجتمع المسلم اليوم لم يسلم من كل هذه الصفات، فهي لا زالت مستشرية فيه وبشكل متطور ومتسارع، ولا سبيل للخروج من دائرة التكبر المذموم وما ينتج عنه من صفات أخرى، إلا بالتوبة إلى الله كما سيأتي في مبحث وسائل علاج التكبر.

ثالثًا: معنى التكبر والاستكبار والفرق بينهما:

والتكبر هو تصعير الوجه عن الناس، هو الحامل والداعي إلى احتقار الناس وازدرائهم، وهذا المعنى يجليه قول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: تعالى (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) [2]يَقُولُ: لاَ تَتَكَبَّرْ فَتَحْقِرَ عِبَادَ اللَّهِ، وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ إِذَا كَلَّمُوكَ».[3]

وفي ختام معنى الآية يورد القرطبي كلامًا نفيسًا فيقول: في قوله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)[4] أي وَلَا تُمِلْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ كِبْرًا عَلَيْهِمْ وَإِعْجَابًا وَاحْتِقَارًا لَهُمْ. وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ. وَقِيلَ: هُوَ أَنْ تَلْوِيَ شِدْقَكَ إِذَا ذُكِرَ الرَّجُلُ عِنْدَكَ كَأَنَّكَ تَحْتَقِرُهُ؛ فَالْمَعْنَى: أَقْبِلْ عَلَيْهِمْ مُتَوَاضِعًا مُؤْنِسًا مُسْتَأْنِسًا، وَإِذَا حَدَّثَكَ

(1) المرجع السابق ج3ص 353-354، وانظر نضرة النعيم /ج11ص5354
(2) سورة لقمان آية 18
(3) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي)/تفسير القرآن العظيم / دار طيبة النشر والتوزيع الرياض – السعودية / ط2/ 1420هـ /ج6/ ص339
(4) سورة لقمان آية 18

أَصْعَرُهُمْ فَأَصْغِ إِلَيْهِ حَتَّى يُكْمِلَ حَدِيثَهُ، وَكَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَفْعَل».[1]

أما معنى الاستكبار: فهو طلب الترفع بالباطل، وصفة مستكبر صفة ذم في جميع العباد، والِاسْتِكْبَارَ عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ .[2]

وما بين التكبر والاستكبار تلازم، فالمصطلحان يشيران إلى الشعور بالتميز أو التعالي على الآخرين، إلا أن بينهما فرق طفيف، فالتكبر شعور مفرط بعظمة النفس، وأما الاستكبار فهو حالة أكثر عمقًا من التكبر، حيث يعتقد الشخص أنه أفضل من غيره بشكل عام، إشارة إلى أنه يتميز بالتعالي وعدم الاعتراف بقدرات غيره من الناس، مما يجدر بنا أن نقول: إن الكبر هو الصفة التي تجعل الكائن يظن أنه أفضل من الآخرين بغير وجه حق، والاستكبار هو الفعل المترتب على ذلك، فمن كان في قلبه ذرة كبر، لن يقبل نصحا ولا علما من أحد، وسيرفض الهدى استكبارا فيهلك نفسه في نهاية الأمر [3]

وهذا ما ستتعرض له الدراسة بالتفصيل.

وأما أقسام الكبر: فهي كثيرة، وأشدُّها ما يلي:

الأوَّل: التَّكَبُّرُ على الله، وَهُوَ أَفْحَشُ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ، كَتَكَبُّرِ فِرْعَوْنَ وَنُمْرُودَ؛ حَيْثُ اسْتَنْكَفَا أَنْ يَكُونَا عَبْدَيْنِ لَهُ تَعَالَى، وَادَّعَيَا الرُّبُوبِيَّةَ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [4]، أَيْ صَاغِرِينَ، قال تعالى: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ ...)[5]، كما فعل الجبَّارون الذين نَصَبُوا أنفسهم آلهة، وادَّعوا مع الله الشركة[6].

وهذا القسم هو عين ما فعلته الأمم السابقة مع أقوامهم، وقد جاء ذكرها في سورة الأعراف وسور أخرى .

الثاني: التَّكَبُّرُ على النبي واستحقاره، كما قالت الكفرة؛ وقالوا:(لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [7] يعني: ولِمَ يُوضَعُ في أقلهم مرتبة؟ -يقصدون بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم - ولم يعلموا المراتب بجهلهم، ولا قَبِلُوها حين بُيِّنَتْ لهم بغباوتهم.

الثالث: ومنها: التَّكَبُّرُ على الوالي بمعارضته، وقد قال النبي: «اسمعوا وأطيعوا، ولو أُمِّرَ عليكم عبد

---

(1) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي)/ الجامع لأحكام القرآن / تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/دغار الكتب المصرية – القاهرة /ط21384هـ/ج14ص66

(2) الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري)/ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ دار إحياء التراث العربي – بيروت /ط3/ 1420هـ/ج24ص449

(3) الغزالي / إحياء علوم الدين /ج3 ص 353-354 بتصرف

(4) سورة غافر آية 60

(5) سورة النساء آية 172

(6) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف/ موسوعة الاخلاق الاسلامية/ الناشر: موقع الدرر السنية على الأنترنت/ ج2 ص 474

(7) سورة الزخرف آية 31

حبَشِيٌّ له زَبِيبَتان»[1]، فإن كان الوالي مُطيعًا وجب تعظيمُه وبرُّه؛ سِرًّا وعَلَنًا، وإن كان عاصيًا وجبت طاعته ظاهرًا، وتعيَّن التبرِّي منه باطنًا، ووجب الدعاء له، ولم يَحِلَّ الطَّعْنُ عليه ولا الخروج، بل يصبرُ الخَلْقُ على ما أصابهم منه، والله يفتح له ولهم[2].

الرابع: التكبر عَلَى الْعِبَادِ بِأَنْ يَسْتَعْظِمَ نَفْسَهُ، وَيَحْتَقِرَ غَيْرَهُ وَيَزْدَرِيَه، فَيَأْبَى عَلَى الِانْقِيَادِ لَهُ، أَوْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ، وَيَأْنَفَ مِنْ مُسَاوَاتِهِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ دُونَ الْأَوَّلَيْنِ، إِلَّا أَنَّهُ عَظِيمٌ إِثْمُهُ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ إِنَّمَا يَلِيقَانِ بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، دُونَ المملوك الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ، فَتَكَبُّرُهُ فِيهِ مُنَازَعَةٌ لِلَّهِ فِي صِفَةٍ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِجَلَالِهِ، فَهُوَ كَمملوك أَخَذَ تَاجَ مَلِك، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، فَمَا أَعْظَمَ اسْتِحْقَاقَهُ لِلْمَقْتِ، وَأَقْرَبَ اسْتِعْجَالَهُ لِلْخِزْيِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ تعَالَى كَمَا مَرَّ فِي جاء في الحديث القدسي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «يَقُولُ اللهُ عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، الْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا أَلْقَيْتُهُ النَّارَ»[3]. يقصد إنَّ مَنْ نازَعَهُ الْعَظَمَةَ وَالْكِبْرِيَاءَ أَهْلَكَهُ، أَيْ: لِأَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ تَعَالَى[4].

الخامس، ومنها: التَّكَبُّرُ على المتعلم، فلا ينبغي للعالم أن يستحقره بجهله.

السادس: ولا ينبغي للمتعلم أن يَتَّكَبَّرَ على مُعَلِّمِه، وأعني به على العالم، تعَلَّمَ منه أو لم يتعلم؛ لأن الله-عز وجل - قد ردَّه إليه، فقال: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[5]، وأَمَرَهُ بالاقتداء به، فكيف يصحُّ أن يتعاظم عليه؟[6].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم: (7142)

(2) ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري)/ سراج المريدين في سبيل الدين: ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله: الدكتور عبد الله التوراتي / دار التحديث الكتانية -المغرب، بيروت-لبنان/ ط1 (1438هـ/ ج3ص441).

(3) ضياء الدين المقدسي (ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي)/الأحاديث المختارة/ أو المستخرج من الأحاديث المختارة ما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما/ تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله بن دهيش/ دار خضر للطباعة والنشر - بيروت/ ط3/ ج10ص 274.

(4) موسوعة الاخلاق الإسلامية/ج2ص474.

(5) سورة النحل آية 43.

(6) ابن العربي/ سراج المريدين في سبيل الدين /ج3 ص442.

المبحث الأول: أنواع المتكبرين في سورة الأعراف، وفيه:

المطلب الأول: استكبار إبليس وجنوده.

المطلب الثاني: استكبار قوم صالح وقوم شعيب، عليهما السلام.

المطلب الثالث: المتكبرون واستكبارهم عن آيات الله.

المطلب الأول: استكبار إبليس وجنوده

لما كان التكبر صفة ذميمة، يتصف بها إبليس وجنوده من أهل الدنيا، ممن طمس الله تعالى على قلبه، وعليه فهو أول من تكبر على الله وخلقه وذلك لما أمره الله تعالى بالسجود لآدم، فأبى واستكبر، وقال: «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين». ويؤكد الله تعالى على ذلك بقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ *)[1]،عن قتادة: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)، قال: خلق الله آدم من طين، «ثم صورناكم»، في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق: علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم كسا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر[2].

تذكيرًا بنعمة إيجاد النوع، وهي نعمة عناية، لأن الوجود أشرف من العدم، بقطع النظر عما قد يعرض للموجود من الأكدار والمتاعب، وبنعمة تفضيله على النوع بأن أمر الملائكة بالسجود لأصله، وأدمج في هذا الامتنان تنبيه وإيقاظ إلى عداوة الشيطان لنوع الإنسان من القدم، ليكون ذلك تمهيدًا للتحذير من وسوسته وتضليله، وإغراء بالإقلاع عما أوقع فيه الناس من الشرك والضلالة، وهو غرض السورة، وذلك عند قوله تعالى: (يا بَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ...)[3]، والخطاب للناس كلهم، والمقصود منه المشركون، لأنهم الغرض في هذه السورة [4].

وقول إبليس لعنه الله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة؛ لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بيَّن أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى: (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[5]، فشذَّ من بين الملائكة بتَرْك السجود؛

(1) سورة الأعراف، الآيات11– 12.
(2) الطبري/ جامع البيان/ج10/ص 62-63، وابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي)/تفسير القرآن العظيم/ دار طيبة النشر والتوزيع الرياض – السعودية / ط2/ 1420هـ /ج12/ ص 318.
(3) سورة الأعراف آية 27.
(4) ابن عاشور (محمد الطاهر ابن عاشور)/ التحرير والتنوير/ دار التونسية للنشر 1984م/ج 8 ص36.
(5) سورة ص آية 72.

فلهذا أبلس من الرحمة، أي: أيس من الرحمة، فأخطأ قبَّحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة؛ ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره في الرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام، بدون تكبر واستعلاء لأمر الله، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة[1].

فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَهُ لَكُمْ»[2].

ويستمر الكبر والتعالي، والله تعالى يرد على المتكبر: (قال فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)[3].

فيتضح بهذا أن من أخطر مظاهر الاستكبار، التكبر على الله، وأن الكبر خلُق من أخلاق إبليس، فمن أراد الكِبر فليعلم أنه يتخلق بأخلاق الشياطين، وأنه لم يتخلق بأخلاق الملائكة المكرمين الذين أطاعوا ربهم فوقعوا ساجدين، وذلك لأن المتكبر يدعي لنفسه ما هو ليس بحق له، ويعتدي علي حقوق ربه، وهو يكاد لا يرى إلا نفسه، وهو بذلك لا يسمع قولاً لغيره، وربما لا يراه، لذلك فهو لا يمكنه الانتفاع بأقوال غيره، ولا الإفادة من تجارب الآخرين، وهو بالطبع لن يرى ولن يدرك آيات ربه، كما حصل من إبليس اللعين، فضلًا عن كون الكبر سببًا لحرمان صاحبه من الجنة، ويحرم نفسه من أن ينظر رب العزة إليه، كما جاء في الحديث، عن عبد الله بن مسعود عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغَمْط الناس «[4]، أي احتقارهم، وهذا شيء طبيعي؛ لأن الكبر هو الصفة التي تجعل الكائن يظن أنه أفضل من الآخرين بغير وجه حق، والاستكبار هو الفعل المترتب على ذلك كما علمنا، وبالتالي من كان في قلبه كبر لن يقبل نصحًا، ولا علمًا من أحد، وسيرفض الهدى استكبارًا؛ فيهلك نفسه في آخر الأمر، ومن أجل ذلك ذم الله الكبر والمتكبرين معًا.

(1) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم /ج3ص392

(2) أورده الألباني (العلامة الامام مجدد العصر محمد ناصر الألباني)/جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة/ مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة/ط11431هـ/ باب هل خلق النبي صلى الله عليه وسلم من نور كالملائكة؟ برقم (1201) /ج8ص9

(3) سورة الأعراف آية 13

(4) أخرجه مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)/ الجامع الصحيح/ المحقق: محمد ذهني أفندي، إسماعيل عبد الحميد، أحمد رفعت/ الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا 1334هـ/ الطبعة الأولى/ ج1/ ص46/ كتاب الايمان/ باب: تحريم الكبر وبيانه ج1ص93/ برقم (91).

المطلب الثاني: استكبار قوم صالح وقوم شعيب عليهما السلام:

يقول الله تعالى في قوم نبي الله صالح عليه السلام: (قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) [1]

والمعنى: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أي عن الإيمان بعد ظهور آية الناقة والكلمات الناصحة، (مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) أي استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم، إذ لم يكن لهم استكبار يمنعهم من الانقياد، أي قال أولئك للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم أَتَعْلَمُونَ أي من آية الناقة ومن الكلمات الناصحة: أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ إليكم لعبادته تعالى وحده لا شريك له.

وهذا قالوه على سبيل السخرية والاستهزاء، لأنهم يعلمون بأنهم عالمون بذلك، ولذلك لم يجيبوهم على مقتضى الظاهر، بل عدلوا منه[2].

أما قوم شعيب –عليه السلام– لقد كان قضاء الله تعالى أن ينزل العذاب عليهم؛ لتكبرهم على رسولهم، كما جاء في قوله تعالى: (قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا قالَ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ)[3]، أي: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ يعني الَّذِين تكبروا عن الْإِيمَان، وهم الكبراء لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا يعنون الشرك: أَوْ لتدخلن فِي ملتنا (قالَ أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ)، عندها قال لهم شُعَيْب: قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ الشرك، يعني إن دخلنا فِي دينكم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها، يقُولُ بعد إذ لَمْ يجعلنا اللَّه من أَهْل ملتكم الشرك، وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نعُودَ فِيها، وما ينبغي لنا أن ندخل فِي ملتكم الشرك، إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا، فيدخلنا فِي ملتكم [4].

المطلب الثالث: المتكبرون واستكبارهم عن آيات الله:

وكما أشرنا سابقًا أن من أذم الصفات التي يتصف بها الإنسان، هي صفة التكبر على الحق ولذلك توعد لله – عز وجل– كل من تكبر عليه، ولم ينصع لأوامره وأوامر رسله الكرام بتجنب أسباب الكبر، توعده بصرفه عن الآيات الدالة عليه، وزاده عتوًا وبعدًا عن الصراط المستقيم، فقال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)[5].

لقد وردت هذه الآية في سياق الحديث عن فرعون وأمثاله من المتكبرين الذين خالفوا أمر الله، وعصوا

(1) الأعراف آية 75.
(2) تفسير القاسمي، محاسن التأويل، ج5 ص127.
(3) الأعراف آية 88.
(4) أنظر تفسير مقاتل بن سليمان، ج2 ص 49.
(5) سورة الأعراف، آية 146.

المجلد(8) العدد(2) ديسمبر 2025م
https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.124

رسله، واتبعوا أمر كل جبار عنيد، وهو فرعون –عليه لعنة الله.

قال الإمام الطبري: القول في تأويل قوله: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك:

فقال بعضهم معناه: سأنزع عنهم فهم الكتاب، وقال آخرون في ذلك، معناه: سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج[1].

وقيل: أن مَعْنَى سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ، أي سَأَمْنَعُ التَّارِكِينَ لِلْإِيمَانِ بِمَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْآيَاتِ، فَهْمَ كِتَابِي، وَقِيلَ، وَقِيلَ سَأَصْرِفُهُمْ عَنْ تَفْعِهَا مُجَازَاةً عَلَى تَكَبُّرِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ: (فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [2]، وَقِيلَ: سَأَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى لاَ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَلاَ يَعْتَبِرُوا بِهَا، لأنهم يَتَكَبَّرُونَ وحالهم مُتَلَبِّسِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ.، وَيَدْخُلُ تَحْتَ كُلِّ آيَةٍ الْآيَاتُ الْمُنَزَّلَةُ، وَالْآيَاتُ التَّكْوِينِيَّةُ، وَالْمُعْجِزَاتُ، أَيْ: لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ[3].

و جُمْلَةُ: وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ الرُّشْدِ تَرَكُوهُ وَتَجَنَّبُوهُ، وَإِنْ رَأَوْا سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ الْغَيِّ سَلَكُوهُ وَاخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ[4].

نلاحظ أن الله تعالى عاقب أولئك المتكبرين عقابًا معجلًا بصرفهم عن آيات الله تعالى، لأنهم بعيدون كل البعد عن أسباب الهداية والرشاد، غارقون في اتخاذ سبل الغواية والضلال، ولعل هذا مرده إلى تكذيب المتكبرين وغفلتهم التي تمادوا فيها، لذا جاء الجزاء من جنس العمل .

وفي الآية هدايات يمكن اجمالها في الآتي:

أولًا: أن حصول الإيمان في قلب المؤمن، إنما يكون بمشيئة الله تعالى.

ثانيًا: أن فهم آيات الله نعمة منه تعالى على عبده، وبالمقابل، فإن عدم استيعابها، والوقوف عندها بالتدبر والتأمل نغمة منه – عز وجل — على عبده.

ثالثًا: التكبر من أقوي عوامل الصرف عن آيات الله تعالى.

رابعًا: أن سبب الضلال والظلم والفساد المستشري بين كيانات المجتمع المختلفة، التكذيب بآيات الله والغفلة عنها.

---

(1) جامع البيان/ ج13ص113.

(2) سورة الصف آية 5.

(3) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني)/ فتح القدير/ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق , بيروت / الطبعة الأولى (1414هـ)/ ج2ص279 بتصرف.

(4) المرجع السابق / ص289.

المبحث الثاني: بيان أخطر مظاهر الكبر في سورة الأعراف:

المطلب الأول: الاستكبار على الله تعالى في سورة الأعراف.

المطلب الثاني: التمادي في الاستكبار على آيات الله وأهل الحق.

المطلب الثالث: الاستكبار على الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الرابع: التمادي في الاستكبار بعد نزول العقاب.

المطلب الأول: الاستكبار على آيات الله تعالى في سورة الأعراف:

ذم الله تعالى الكبر في سورة الأعراف، لأن من أخطر مظاهر الكبر، وأفحش أنواعه، الاستكبار على الله تعالى ويتجلى ذلك من خلال قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[1].

قال ابن كثير (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا)، أي: كذبت بها قلوبهم، واستكبروا عن العمل بها (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، أي: ماكثون فيها مكثًا مخلدًا[2].

ويرى الامام الرازي، أن الله تعَـــالَى بَيَّنَ في الآيـــــة أعلاه، أَنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يَجِـــيءُ بها الرســـــل واستكبـــروا عليـها، أي: أنفوا من قبولهـــا، وتـمـــردوا عن التزامها، فأولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ في إشارة واضحة منه أن هذه الْآيَةِ تدل عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ لَا يَبْقَى مُخَلَّدًا فِي النَّارِ لِأَنَّهُ تعَالَى بَيَّنَ أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ قَبُولِهَا هُمُ الَّذِينَ يَبْقُونَ مُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ وَكَلِمَةُ هُمْ تُفِيدُ الْحَصْرَ فَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مَوْصُوفًا بِذَلِكَ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِكْبَارِ لَا يَبْقَى مُخَلَّدًا فِي النَّارِ[3].

ولا شك فإن هذا الوصف الذي جاء ت به الآية، يجسد أخطر مظاهر الاستكبار على آيات الله؛ لأن صاحبه استحق الخلود في النار، وهو أقسى عقاب ينتظر المستكبر، ومن أجل ذلك ذم الله تعالى الكبر وأهله.

ونشير هنا إلى أن هذا المظهر من الاستكبار لا زال ينخر في مفاصل أمة النبي- صلى الله عليه وسلم، وله تأثير بالغ في إفساد العلاقات بين أفرادها، ولا سبيل للخروج الآمن من هذا الداء العضال: إلا بالانصياع التام لتوجيهات الآيات الكريمة.

---

(1) سورة الأعراف آية 36.

(2) تفسير القرآن العظيم /ج3 ص409 ، بتصرف.

(3) (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري)/ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط3/ ج14 ص235، بتصرف.

كذلك يتجسد الكبر والاستكبار على آيات الله تعالى، من خلال قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)[1].

يتكرر الوصف بالكذب على الذين يستكبرون عن آيات الله، والتأكيد على هذا الوصف في إطار التمادي في الاستكبار عنها، وعدم الانقياد لأحكامها، بل كذبوا وتولوا، ولم يؤمنوا بها، وترفَّعوا تكبُّرًا عن العمل بما جاءتهم به رسلهم، ولعل المقْصُودَ هنا إِتْمَامُ الْكَلَامِ فِي وَعِيدِ المستكبرين من الْكُفَّارِ وغيرهم وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ [2](وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[3].

وأما تتمة مقصد الآية، وهو قوله تعالى: (...لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)، فسيأتي بيان ذلك تفصيلًا في مبحث منفصل، وهو نتائج الكبر والاستكبار.

المطلب الثاني: التمادي في الاستكبار على آيات الله والمحقين من الناس في سورة الأعراف:

من يستكبر ويتمادى في استكباره فلا شك سيرد المهالك، يقول الله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)[4].

جاء في التفسير الكبير، أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ بِقَوْلِهِ: (وَإِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا ...)[5]، أَتْبَعَهُ أَيْضًا بِأَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ يُنَادُونَ رِجَالاً مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ، لِأَجْلِ أَنَّ الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: (مَا أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)، وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يُبَكِّتُ وَيُوَبِّخُ وَلَا يَلِيقُ أَيْضًا إِلَّا بِأَكَابِرِهِمْ وَالْمُرَادُ بِالْجَمْعِ فِي(قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)، مَّا جَمْعُ الْمَالِ وَإِمَّا الِاجْتِمَاعُ وَالْكَثْرَةُ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ وَالْمُرَادُ: اسْتِكْبَارُهُمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاسْتِكْبَارُهُمْ عَلَى النَّاسِ الْمُحِقِّينَ[6].

ويأتي الاستكبار على أهل الحق مصحوبًا باحتقارهم والترفع عليهم في إطار رفض الحق والتعالي على أصحابه، وهذه لا شك أنها صفة ذميمة في الإسلام، ويأباها العقل السوي، سيما وأن الجزاء المترتب عليها أنه: لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر، كما سيأتي في نتائج الاستكبار، ولذلك يجب

(1) سورة الأعراف آية 40.
(2) انظر الرازي/ مفاتيح الغيب/ ج14 ص 239.
(3) سورة الأعراف آية 36.
(4) سورة الأعراف آية 48.
(5) سورة الأعراف آية 47.
(6) الرازي/ التفسير الكبير / ج14 ص 251.

عند الاقدام على هذا السلوك الذي ذمَّه الله تعالى في القرآن عمومًا، وفي سورة الأعراف خصوصًا، يجب تحري خطره وشره على الجميع.

المطلب الثالث: الاستكبار على الأنبياء عليهم السلام في سورة الأعراف:

الكبر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة، كما يذكر القرآن في سور شتى، فها هم قوم نوح منعهم الكبر عن قبول الدعوة والاستماع لنداء الفطرة والإيمان، وكذلك قوم عاد هلكوا بسبب كبرهم حتى قالوا (فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيۤ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ*)[1].

أما فرعون فقد ملأ الدنيا كبرًا وتعاليًا حتى وصل به الكبر إلى ادعاء الربوبية والألوهية، فقال تبارك وتعالى عنه: (وقال فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّيۤ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ)[2].

وفي سورة الأعراف التي ذم الله تعالى فيها الكبر، يتجلى استكبار ثمود وانتهاجهم نفس نهج استكبار وتعالي من سبقهم، فها هم يردون دعوة الله –عز وجل – ويكذبون نبيه صالح عليه السلام، فلهذا كله ذم الله تعالى الكبر، وكذا المتكبرين، فقال تعالى: (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيۤ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ *)[3].

وَمَعْنَى الْآيَات: قَالَ الْمَلَأُ وَهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينِ اسْتُضْعِفُوا، يُرِيدُ بذلك الْمَسَاكِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَقَوْلُهُ: لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِأَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ. وجاء هنا وَصَفَ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ بِكَوْنِهِمْ مُسْتَكْبِرِينَ، وَوَصَفَ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَوْنِهِمْ مُسْتَضْعَفِينَ، وَكَوْنُهُمْ مُسْتَكْبِرِينَ فِعْلٌ اسْتَوْجَبُوا بِهِ الذَّمَّ، وَكَوْنُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَضْعَفِينَ، أي: أَنَّ غَيْرُهُمْ يَسْتَضْعِفُهُمْ وَيَسْتَحْقِرُهُمْ، وَهَذَا لَيْسَ فِعْلًا صَادِرًا عَنْهُمْ بَلْ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ لَا يَكُونُ صفة ذم في حَقِّهِمْ، بَلِ الذَّمُّ عَائِدٌ إِلَى الَّذِينَ يَسْتَحْقِرُونَهُمْ وَيَسْتَضْعِفُونَهُمْ. ثُمَّ حَكَى تَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ سألوا المستضعفين عن حال نبيهم صالح، فقال المستضعفون نَحْنُ مُوقِنُونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ نبي الله صَالِحٌ –عليه السلام – وَقَالَ الْمُسْتَكْبِرُونَ: بَلْ نَحْنُ كَافِرُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ نبيكم صَالِحٌ[4].

وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُحْتَجُّ بِهِ فِي بَيَانِ أَنَّ الْفَقْرَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَذَلِكَ لِأَنَّ الِاسْتِكْبَارَ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ

(1) سورة فصلت الآيات 14-15.
(2) سورة القصص الآيات 38-40.
(3) سورة الأعراف الآيات 75- 76.
(4) الرازي/ التفسير الكبير / ج14 ص 251-152.

مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالِاسْتِضْعَافُ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنْ قِلَّتِهِمَا، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ وَالْجَاهِ حَمَلَهُمْ عَلَى التكبر والتَّمَرُّدِ، وَالْإِبَاءِ، وَالْإِنْكَارِ، وَالْكُفْرِ.

وهذه حقيقة أشار إليها المفسرون، فإن المتكبرين في مشارق الأرض ومغاربها، إنما حملهم على هذا السلوك المشين –التكبر – كثرة المال، والجاه، ويدخل في ذلك الحسب، والنسب، وحتى العلم، ولم يسلم المجتمع المسلم من صفة التكبر مما أفسد العلاقات بين أفراده لذلك ذمه الله تعالى، وذم المتصفين به .

ولنا في الصحابي الجليل عمر رضي الله عنه أسوة حسنة، إذ قال: إن العَبْد إذا تواضع لله رفعه الله وَقَالَ انْتَعش نَعشك الله فَهُوَ فِي نَفسه صَغِير وَفِي أنفس النَّاس كَبِير وَإِن العَبْد إذا تعظم وَعدا طوره، وهصه الله إِلَى الأَرْض وَقَالَ اخْسَأْ خسأك الله فَهُوَ فِي نَفسه كَبِير وَفِي أنفس النَّاس صَغِير حَتَّى لَهُو أَحْقَر عِنْدهم من خِنْزِير.[1]

والمعني: من تواضع لأجل عظمة الله وخشيته، زاده الله إجلالاً في الدنيا والآخرة، وقال انعش أي: أي ارتفع وانهض من عثرتك، فهو في أعين الناس عظيمٌ، وفي نفسهِ صغيرٌ، أما من تكبر وتعالى، كسره الله وأخره، وقيل: قصمه الله، أي: أهانه وأذله، وقيل: قرب موته[2]. ومن أجل هذا كله ذم الله الكبر وأهله.

أما هدايات الآيات التي يمكن أن يستفاد منها، فتتجلى في الآتي:

وجوب التذكير بنعم الله عز وجل، ومنها نعمة الإيمان بالله وبآياته، فهو الباعث على الشكر الذي هو الطاعة ابتداءً، دون تكبر أو تعالٍ، وما أحوج مجتمعنا اليوم لهذا.

أيضا من الهدايات، أن الضعفاء في الغالب الأعم هم أتباع الأنبياء وأهل الطاعة والانقياد والتسليم والاحتكام لأوامر الله تعالى، وذلك لخلوهم من الموانع المتمثلة في المحافظة على المناصب أو الجاه أو المال، إضافة إلى بعدهم عن بهارج الدنيا وملذاتها.

(1) الزيلعي(جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي)/ تخريج أحاديث الكشاف/ دار ابن خزيمة للنشر –الرياض / ط1(1414هـ)/ أحاديث سورة الأعراف /ج1 ص 455.

(2) المرجع السابق، ص 455.

المطلب الرابع: التمادي في الاستكبار بعد نزول العقاب:

إن امتناع بعض المستكبرين من الكفار عن الإيمان بآيات الله، لم يكن لطعن فيها، بل لاستكبارهم عن أن ينزل عليهم عذابًا مختصًا بهم، وهذا هو حال المتكبرين في كل عصر، لا يطلبون الآيات، من أجل الهداية والاتباع، لذلك ذمهم الله تعالى وذم سلوكهم، وإنما يطلبونها للتعنت والعناد، والاستخفاف، لأن آيات الله –عز وجل– بينة واضحة للمؤمنين المصدقين بها، لأنهم بلا شك يجدون مطلبهم فيها.

وسورة الأعرف تجسد الاستكبارعن الإيمان بآيات الله، وما تحمله من عقاب معجل للمستكبرين في إطار سياق قصص موسى–عليه السلام– مع آل فرعون، وذلك لما شاهد فرعون وآله آية العصا، وانهزام السحر أمامهم، وإيمان السحرة، حملهم الكبر على مواصلة الكفر والعناد، فأصابهم الله تعالى بعقابٍ تلو الآخر، لعلهم يذكرون ويخافون، كما في قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ)[1]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى كما صور القرآن (وَقالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)[2]، مَهْمَا أَتَيْتَنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ، فَهِيَ عِنْدَنَا مِنْ بَابِ السِّحْرِ، وَنَحْنُ لَا نُؤْمِنُ بِهَا الْبَتَّةَ[3].

وعندها أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ العقاب الرابع، وهو القمل، قِيلَ: هِيَ الدَّبَّاءُ، وَالدَّبَّاءُ: الْجَرَادُ قَبْلَ أَنْ تَطِيرَ، وَقِيلَ: هِيَ السُّوسُ، وَقِيلَ: الْبَرَاغِيثُ، وَقِيلَ: دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ، فحل عليهم الْقُمَّلَ سَبْتًا إِلَى سَبْتٍ، فَلَمْ يَبْقَ فِي أَرْضِهِمْ عود أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلَتْهُ، فَصَاحُوا، وَسَأَلَ مُوسَى –عليه السلام– رَبَّهُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا رِيحًا حَارَّةً، فَأَحْرَقَتْهَا، وَاحْتَمَلَتْهَا الرِّيحُ، فَأَلْقَتْهَا فِي الْبَحْرِ، وأيضًا استكبروا، ولَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ العقاب المعجل، الخامس، وهو الضفادع، بَعْدَ ذَلِكَ فَخَرَجَ مِنَ الْبَحْرِ مِثْلَ اللَّيْلِ الدَّامِسِ، وَوَقَعَ فِي الثِّيَابِ وَالْأَطْعِمَةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَسْقُطُ وَعَلَى رَأْسِهِ ذِرَاعٌ مِنَ الضَّفَادِعِ، فَصَرَخُوا إِلَى مُوسَى– عليه السلام– وَحَلَفُوا بِإِلَهِهِ لَئِنْ رَفَعْتَ عَنَّا هَذَا الْعَذَابَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ، فَدَعَا اللَّهُ تعالى، فأمات الضفادع، وأرسل عليها المطر، فاحتملها إِلَى الْبَحْرِ، إلا أنهم ثُمَّ استكبروا وأَظْهَرُوا الْكُفْرَ وَالْفَسَادَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ العذاب السادس، وهو الدَّمَ، فَجَرَتْ أَنْهَارُهُمْ دَمًا، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْمَاءِ الْعَذْبِ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَجِدُونَ الْمَاءَ الْعَذْبَ الطَّيِّبَ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمُ الْجُهْدُ، فَصَرَخُوا، وَرَكِبَ فِرْعَوْنُ وَأَشْرَافُ قَوْمِهِ إِلَى أَنْهَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْهُمُ النَّهْرَ، فَإِذَا اغْتَرَفَ، صَارَ فِي يَدِهِ دَمًا، وَمَكَثُوا سبعة أيام في ذلك لَا يَشْرَبُونَ إِلَّا الدَّمَ عقابًا لهم، فَقَالَ فِرْعَوْنُ– كما صور القرآن–: (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ...)[4] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[5].

وبعد كل ألوان العذاب التي حلت بآل فرعون، إلا أنهم اسْتَكْبَرُوا، أَيْ: تَرَفَّعُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وبآياته،

(1) سورة الأعراف آية 133.
(2) سورة الأعراف آية 132.
(3) انظر الرازي/ مفاتيح الغيب/ ج14 ص345-346.
(4) سورة الأعراف آية 134.
(5) الرازي/ مفاتيح الغيب/ج14/ 346، وانظرابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ج3ص 463.

وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ، لَا يَهْتَدُونَ إِلَى حَقٍّ، وَلَا ينتهون عَنْ بَاطِلٍ[1].

ما نلاحظه، أن المستكبرين عن الإيمان بالله تعالى وطاعته وآياته، هم قوم في الأصل مجرمين مفسدين، لا خير فيهم، ولا عهد لهم، لذلك ذمهم الله، وذم تصرفاتهم التي تنم عن الكفر والتمادي في المعاصي وسوء الأخلاق، لأنهم يرفضون الاعتراف بوجود الله تعالى، ويتعالون عن قبول الحقائق والإيمان بآيات الله، بسبب تكبرهم أو الإعجاب بأنفسهم، مما أدي بهم إلى الانحراف عن الطريق الصحيح، و الفشل في إدراك عظمة الله وقدرته، وقرب قهره، وعزته وجبروته، فمن أجل ذلك كله ذم الله تعالى الكبر والمستكبرين.

(1) انظر الشوكاني / فتح القدير/ج2 ص 272، والرازي/ مفاتيح الغيب/ج14ص346-347.

المبحث الثالث: نتائج الاستكبار في سورة الأعراف، وفيه:

المطلب الأول: إغلاق أبواب السماء أمام المتكبرين.

المطلب الثاني: عدم انتفاع المتكبرين بأموالهم وعددهم.

المطلب الثالث: مآل المستكبرين من قوم نبي الله صالح عليه السلام.

المطلب الأول: إغلاق أبواب السماء أمام المتكبرين:

كما أشرنا سابقًا أن حقيقة الاستكبار، هو رفض الحق والإذعان له، بالإضافة إلى شعور المتكبر بعظمته وأفضليته على الآخرين بغير حق، وأحقيته في كل شيء . أضف إلى ذلك أن الاستكبار في الأرض هو سبب رئيس لهلاك الأمم السابقة، وكذا اللاحقة إن لم تتجنبه، ومن أجل ذلك ذم الله الكبر والمستكبرين في القرآن بصفة عامة، ثم في سورة الأعراف بصفة خاصة، باعتبار أن الدراسة معنية به، وفي هذه الجزئية يجدر بنا الإشارة إلى نتائج الاستكبار، كما جاءت في سورة الأعراف، وقد جاءت نتيجة الاستكبار في هذا المطلب، متعلقة بمصير أعمال وأرواح المستكبرين، إذ يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)[1].

يتضح من هاتين الآيتين أن هنالك نتيجتين، الأولى في الآية الأولى:

(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ لَا تُفَتَّحُ لِأَعْمَالِهِمْ وَلَا لِدُعَائِهِمْ وَلَا لِشَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ بِهِ طَاعَةَ اللَّهِ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[2] وقيل: لاَ تُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِهِمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وتُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ[3]، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا رُوِيَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: أَنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، وَيُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لأنها موضع بهجة الأرواح وأماكن سعاداتها، كما وَيُسْتَفْتَحُ لِرُوحِ الْكَافِرِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ[4].

وقيل: بناء على أن الجنة في السماء، معناه: ولا يؤذن لهم في الصعود إلى السماء، ولا تطرّق لهم إليها

(1) سورة الأعراف الآيات 40- 41.
(2) سورة فاطر آية 10.
(3) الرازي / مفاتيح الغيب / ج14ص
(4) المرجع السابق، ص240، والنيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري)/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ تحقيق: زكريا عميرات / دار الكتب العلمية للنشر – بيروت / ط1 1416هـ/3 ص 233 بتصرف.

حتى يدخلوا الجنة، وقيل: أي لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى: (فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ)[1]، وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىَ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، أَيْ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارَ الْمُكَذِّبِيَن الْمُسْتَكْبِرِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَلِهَذَا عَلَّقَهُ بِالْمُسْتَحِيلِ، فَقَالَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَهُوَ لَا يَلِجُ أَبَدًا[2].

نلاحظ هنا أن الله تعالى أوقف دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال، ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعًا، فإن الموقوف على المحال يظل محالًا لا شك في ذلك.

المطلب الثاني: عدم انتفاع المتكبرين بأموالهم وعددهم

جاء ذلك في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)[3].

يقول الله تعالى مخبرًا عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماهم: (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ) أي: كثرتكم، (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)، أي: لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله، أي: ما كنتم تجمعون من الأموال والعَدَد في الدنيا، (وما كنتم تستكبرون)، يقول: وتكبُّركم الذي كنتم تتكبرون فيها، بل صرتم إلى ما صرتم فيه من العذاب والنكال[4].

والذي نلاحظه في مجتمعاتنا اليوم أن عواقب الاستكبار عن الإيمان والطاعة والعبادة، وآثاره المدمرة، تسببت كثيرًا في تراجع القيم الأخلاقية وحتى الإنسانية، لأن الكبر مرض يصيب النفس البشرية، بسبب ضعف الإيمان والتقوى ومخافة الله، وهذا بالتأكيد يوصل إلى غضب الله تعالى وسخطه، ويورث البعد عنه – عز وجل –وضعف العلاقة به، وبكتابه الكريم.

ومن صور التكبر في مجتمعاتنا: عدم استجابة طلب الغير لمساعدته على حساب الظهور بمظهر الأقل شأنًا، ظهور فئات هما الأكبر إرادة كل شيء أو أكبر قدر منه، وترك الآخرين بلا شيء، ويعتقدون أنهم يجب أن يكونوا أفضل من غيرهم بأي ثمن.

المطلب الثالث: مآل المستكبرين من قوم نبي الله صالح عليه السلام:

وهذه النتيجة هي مآل قبيلة ثمود – قوم نبي الله صالح عليه السلام –حينما أمرهم بترك ناقة الله وعدم مسها بسوء، ولكنهم لم ينصاعوا لأمره تكبرًا منهم، فقال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ

(1) سورة القمر آية 11.
(2) النيسابوري / غرائب القرآن /ج3 ص 233-234.
(3) سورة الأعراف آية 48.
(4) الطبري/ جامع البيان/ ج12ص467، وابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ج3 ص 422(بتصرف).

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ* وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ *قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ *فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ *)[1]وَجُمْلَةُ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً مُشْتَمِلَةٌ عَلَى بَيَانِ الْبَيِّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَانْتِصَابُ آيَةً: عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَفِي إِضَافَةِ النَّاقَةِ إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفٌ لَهَا وَتَكْرِيمٌ. قَوْلُهُ فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ أَيْ: دَعُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ، فَهِيَ نَاقَةُ اللَّهِ، وَالْأَرْضُ أَرْضُهُ فَلَا تَمْنَعُوهَا مِمَّا لَيْسَ لَكُمْ وَلَا تَمْلِكُونَهُ وَلا تَمَسُّوها بِشَيْءٍ مِنَ السُّوءِ، أَيْ: لَا تَتَعَرَّضُوا لَهَا بِوَجْهٍ من الوجوه التي تسوؤها. قَوْلُهُ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ هُوَ جَوَابُ وتعليل للنَّهْيِ: أَيْ إِذَا لَمْ تتْرُكُوا مَسَّهَا بِشَيْءٍ مِنَ السُّوءِ بسبب عنادكم وتكبركم، أَخَذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَيْ: شَدِيدُ الْأَلَمِ.[2] أما قَوْلُهُ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ أَيِ: اسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ أَوْ جَعَلَكُمْ ملوكا فيها، وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ أَيْ: جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا مَبَاءَةً، وَهِيَ الْمَنْزِلُ الَّذِي تَسْكُنُونَهُ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً أَيْ: تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولَةِ الْأَرْضِ قُصُورًا، وَسُهُولُ الْأَرْضِ تُرَابُهَا، وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً أَيْ تَتَّخِذُونَ فِي الْجِبَالِ الَّتِي هِيَ صُخُورٌ بُيُوتًا تَسْكُنُونَ فِيهَا، قَوْلُهُ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ أي نعمه المتواصلة عليكم والتي تستوجب منكم الإيمان والانصياع لأوامر الله تعالى بترك التكبر والاستعلاء والفساد في الأرض، ولكن طبيعة المتكبر المتعالي وسلوكه لا يتغيران وهاهم يترجمون استكبارهم قولًا وعملًا، وعندها قَالَ الرُّؤَسَاءُ الْمُسْتَكْبِرُونَ مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ اسْتَضْعَفَهُمُ المستكبرون، وَمَقُولُ الْقَوْلِ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالوا هذا على طَرِيقِ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ أَجَابُوهُمْ بِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِرِسَالَتِهِ، مَعَ كَوْنِ سُؤَالِ الْمُسْتَكْبِرِينَ لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ أنه مرسل إليهم جميعًا، ووقتها أجاب المستكبرون تَمَرُّدًا وَعِنَادًا بِقَوْلِهِمْ إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ، فخالفوا أوامر نبيهم، فَعَقَرُوا النَّاقَةَ[3].

نلاحظ هنا إسناد العقر إليهم جميعًا، مع أن المعلوم أن العاقر سيكون واحدًا، ولعل هذا يفسر باعتبار أن الباقين راضين عن عقر الناقة بحضورهم وسكوتهم، ولعلها نتيجة حتمية للاستكبار على الله وعلى أنبيائه وآياته، سيما التي تتعلق بالعذاب، وعدم الاستجابة لأوامر الأنبياء عليهم السلام.

(1) سورة الأعراف الآيات: 73 – 79.
(2) الشوكاني / فتح القدير /ج2 ص 249–250(بتصرف).
(3) الشوكاني / فتح القدير / ج2 ص 251 (بتصرف).

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث:

1. تبين سورة الأعراف على أن الكبر من الصفات المذمومة التي تؤدي إلى الفساد في الأرض.
2. عرضت سورة الأعراف نماذج تاريخية، تتجلى في قصص الأمم السابقة، مثل: قوم نوح، وفرعون كأمثلة على عواقب الكبر، مما يبرز أهمية أخذ العظة والعبرة من تجاربهم السالبة.
3. الآيات في السورة تدعو إلى التحلي بالتواضع كصفة محمودة، تعكس الإيمان الصحيح وتقرّب العبد من الله.
4. تؤكد سورة الأعراف أن الكبر يعمي بصيرة الإنسان، وهذا يؤدي إلى رفض الحق، واتباع الأهواء.
5. تبين السورة أنه من الواجب على المسلمين التأمل في عواقب الكبر، باعتباره سلوكًا سلبيًا، والاتجاه نحو الخلق الإيجابي.
6. **كذلك** تشير السورة إلى أن التواضع والإخلاص، هما المخرج الآمن نحو رضا الله، وتجنب سخطه.

فكل هذه النتائج تبرز أهمية اكتساب الأخلاق الطيبة التي جاء بها ديننا الحنيف، والتحذير من الكبر والمتكبرين، كأكبر مدمِرَين في الحياة.

التوصيات:

1. دراسة قصص الأمم السابقة من منظور واقعي، يجسد مدي استفادة المجتمع منها، من خلال نبذ الكبر، وتطبيق خلق التواضع.
2. على القائمين على أمر الأمة المسلمة تخصيص أماكن وأزمان لإقامة ندوات ومحاضرات تدعو إلى بسط الصفات والأخلاق الحميدة، ونبذ كافة أشكال الرذائل، وتطهير المجتمعات منها.
3. السعي إلى تكوين أمة شعارها: الحق يُعلى، ولا يُعلى عليه.

المراجع والمصادر:

1. الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري)/ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ دار إحياء التراث العربي –بيروت/ ط3
2. ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري)/ سراج المريدين في سبيل الدين: ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله: الدكتور عبد الله التوراتي/ دار التحديث الكتانية –المغرب، بيروت– لبنان ط1.
3. ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك) 1423هـ/ شرح صحيح البخاري/ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم/ دار مكتبة الرشد – السعودية، الرياض / ط2 ابن حنبل (الإمام أحمد بن حنبل) 1421هـ/ مسند الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق شعيب الأرناؤوط/ ط1
4. ابن عاشور(محمد الطاهر ابن عاشور) 1984م/ التحرير والتنوير/ دار التونسية للنشر
5. ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين)، 1399هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
6. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي)/ تفسير القرآن العظيم/ دار طيبة النشر والتوزيع الرياض – السعودية/ ط2.
7. ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري) 1414هـ، لسان العرب/ دار صادر للنشر– بيروت– ط3.
8. البخاري(محمد بن اسماعيل) كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم: (7142).
9. مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)/ 1334هـ، الجامع الصحيح/ المحقق محمد ذهني أفندي، إسماعيل عبد الحميد ' أحمد رفعت/ الناشر: دار الطباعة العامرة –تركيا. الطبعة الأولى.
10. الألباني (العلامة الامام مجدد العصر محمد ناصر الألباني) 1143هـ/ جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة/ ط مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، وتحقيق التراث والترجمة.
11. البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي): صحيح البخاري/ تحقيق مصطفي ديب البغا/ دار ابن كثير، ودار اليمامة للنشر/ ط5/ كتاب الأحكام/ من بايع رجل لا يبايعه إلا للدنيا.
12. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني) 1414هـ/ فتح القدير/ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت/ الطبعة الأولى.
13. الشيخ محمد صالح المنجد/ موقع الإسلام سؤال وجواب/(بتصرف)، الخوارزمي (أبو بكر الخوارزمي محمد بن العباس) 1418هـ/ مفيد العلوم ومبيد الهموم/ الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت.

14. المقدسي (ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي)/ الأحاديث المختارة/ أو المستخرج من الأحاديث المختارة ما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما/ تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله بن دهيش/ دار خضر للطباعة والنشر – بيروت/ ط3.
51. .الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) 1422هـ/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر –د. عبد السند حسن يمامة/ الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر/ ط1.
16. الغزالي (أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي) إحياء علوم الدين/ دار المعرفة للنشر –بيروت.
17. الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري)/ 1420هـ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط3.
18. الفيومي (أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، الناشر: المكتبة العلمية –بيروت.
19. الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)/ تاج العروس من جواهر القاموس/ إصدار: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت –المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت.
20. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) 1384هـ/ الجامع لأحكام القرآن/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ دغار الكتب المصرية – القاهرة/ ط2.
21. مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف/ موسوعة الأخلاق الإسلامية/ الناشر: موقع الدرر السنية على الأنترنت.
22. مختصين بإشراف صالح بي عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي/ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم/ دار الوسيلة للنشر والتوزيع –جدة/ ط4.
23. النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري) 1416هـ/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ تحقيق: زكريا عميرات/ دار الكتب العلمية للنشر –بيروت/ ط 1.